قيام الخلافة الفاطمية في مصر

المدرس المساعد: اسراء جاسم حميد

asraajassem@uomustansiriyah.edu.iq

اوضاع مصر قبيل دخول الفاطميين

كانت مصر قبيل الحكم الفاطمي لها سنة ٣٥٨ ه/٩٦٨م تحت حكم الاخشيديين (٣٢٣-٣٥٨ هـ/ ٩٣٤ - ٩٦٨ م) فقد عاشت مصر في ظل مؤسس الاسرة الاخشيدية محمد بن طغج الملقب بالاخشيد (٣٢٣- ٣٣٤ هـ/٩٣٤- ٩٤٥ م) حالة من الهدوء والطمأنينة فضلا عن استتباب الامن والرخاء وكانوا يستلمون ارزاقهم واعطيتهم بصورة منتظمة لذا فقد استطاع الاخشيد ان يرد الحملات التي وجهها الفاطميون في عهد الخليفة القائم بامر الله (٣٢٢- ٣٣٤ هـ / ٩٣٣ - ٩٤٥ م) لكن الحالة تغيرت بموت الاخشيد سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م وبدأت حالة الضعف تسري الى جسد مصر شينا فشينا فقد عهد الاخشيد بالولاية لابنه ابو القاسم انوجور (٣٣٤ - ٣٤٩ هـ) ثم الى ابنه الاخر ابي الحسن علي (٣٤٩- ٣٥٥ هـ) فأل تدبير الامور في عهدهما الى كافور الاخشيدي خادم ابيهما والوصي عليهما لانه كان اتابكا لهما.

بعد موت ابي الحسن علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م تقلد كافور الاخشيدي ولاية مصر والبلاد التي تحت سلطانها بعد ان اخرج للناس كتابا من الخليفة العباسي المطيع لامر الله (٤ ٣٣- ٣٦٣ هـ/٩٤٥- ٩٧٣ م) بتوليه البلاد فدعي له على منابر مصر والشام والحجاز.

غير ان ولاية كافور هذه لم تغير شينا من احوال مصر بل انتقلت من حال اسوء الى اشد سوءا فقد عجز كافور عن دفع رواتب الجند وحرسه مما ثاروا عليه وتنكروا له ثم زادت الاوضاع سؤا بعد موت كافور سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م وترك مصر في حالة يرثى لها من الفوضى والاضطرابات يتنازعها صبية من بني الاخشيد ليس لهم معرفة بامور البلاد غير اللهو وحب المال، عند ذاك اجتمع رجال القصر في مصر لاختيار ابا الفوارس احمد حفيد الاخشيد عليها وهو صبي في الحادية عشر من العمر فصار ابن عم ابيه الحسن بن عبيد الله بن طفج نائبا عنه وقام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات بتدبير مملكته.

وان عبيد الله بن طغج كان من الشخصيات الضعيفة الغير قادرة على تولي الامور بنفسه فقد هجمت القرامطة على دمشق والرملة سنة ٣٥٧ هـ/ ٩٦٧ م واحتلالها،

كما ان أبن الفرات كان عاجز على اقرار الامن وازدادت هذه الازمات والمصائب والويلات فاصبحت مصر على حد قول الانطاكي : (... كل واحد منهم تسمى بالامير ...). ونتيجة لهذه الاوضاع الصعبة التي تعيشها البلاد كاتب جماعة من اعيان مصر المعز لدين الله يطلبون منه ارسال العساكر اليهم ليسلموهم البلد كما تعهدوا له بتقديم العون والمساعدة مما جعل المعز لدين الله يقول لعدد من شيوخ كتامة وهو بالمنصورية.

اسباب دخول الفاطميين لمصر :

كان هم الفاطميين الأول الاستحواذ على أرض الكنانة ليكونوا على مقربة من الدولة العباسية وقلبها النابض بغداد عدوتهم اللدود وليوجهوا نحوها كل جهودهم وليسددوا اليها الضربات المتتالية حتى يقضوا عليها ويبسطوا نفوذهم وسيطرتهم على العالم الاسلامي.

فبعد النجاح الذي حققته الدولة الفاطمية في الشطر الاول من غرضهم واقاموا دولتهم في بلاد المغرب ارادوا استكمال الشطر الثاني من غرضهم الا وهو القضاء على الدولة العباسية ومصر هي اول جزء من املاك الدولة العباسية تجاور الدولة الفاطمية من ناحية الشرق لذا كانت مصر حلم الفاطميين مند اللحظة الاولى.

- ان مصر كانت تتميز بموقع جغرافي ممتاز فهي قريبة من المراكز الاسلامية - العراق - بلاد الشام ، الحجاز وان موقعها يتوسط العالم الاسلامي فهي تتوسط القارتين الاسيوية والافريقية.

- اعتقد الفاطميون انهم بسيطرتهم على مصر يستطيعون السيطرة على الحجاز حيث الحرمين الشريفين فيصبحون بذلك حماة للاماكن المقدسة ويمسون اصحاب السلطة والنفوذ في اكبر حواضر الاسلام الا وهي بغداد - الفسطاط - دمشق - مكة - المدينة.

- ان السيطرة على مصر تضمن لهم السيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط.

ان مصر بما تتمتع به من خيرات اذ ما قورنت بارض المغرب الفقيرة ذات الطبيعة الجبلية كانت من اسباب دخول الفاطميين اليها.

- ان الروم كانوا قد استولوا على الشام والثغور وطرسوس وانطاكيا واذنه والمصيصة وهذا يدل على ضعف بني العباس وانهم لا حكم لهم معهم لذا قرر الخليفة المعز لدين الله الدخول الى مصر والسيطرة عليها.

دخول الفاطميين مصر ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م وبناء مدينة القاهرة:

- استعدادات الخليفة المعز لدين الله قبل دخول جوهر الصقلي مصر ٣٥٨ هـ /٩٦٨م:

لم يشأ المعز لدين الله ان يترك شيئا للصدفة ولا ان يبقي بابا من ابواب المفاجأة الطارئة لذا اتخد استعدادته بغاية الدقة والتنظيم منذ ان تولى الخلافة في سنة ٣٤١ هـ /٩٥٢ م فقد وضع الخطط اللازمة لذلك ومنها:

- امر بانشاء الطرق وحفر الابار واقامة المنازل للاستراحة على كل مرحلة على طول الطريق من المنصورية عاصمة ملكه في المغرب الى الاسكندرية.

- ان المعز لدين الله عمل على تخزين المؤن والذخائر لتسييرها مع الجيش الذي سيذهب الى مصر وجمع الاموال الكثيرة لينفقها على الجيش.

- ان المعز لدين الله جمع صناديق فيها مال كثير وقام بتنظيمها وترتيبها بنفسه وامر صاحب بيت المال با يداعها في خزائن بيت المال بعد ان ختمت بختمة، وقد قدرت هذه الاموال التي ارسلت مع جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٨ م باربعة وعشرين الف الف دينار عبئت في الف وخمسمائة صندوق.

فضلا عن ذلك فكان هناك الجهد الاعلامي والدعائي والسياسي والجهد الفكري المتمثل في غزو العقول .

يتبين مما تقدم ان استعدادات المعز لدين الله لدخول مصر كان استعدادات دقيقة وان الاموال التي جهز بها الجيش الفاطمي كانت عظمية فضلا عن الدعوة والدعاية الواسعة واستخدام الاساليب النفسية التي سارت جنبا الى جنب مع القوة العسكرية والاعداد لها كان له اثر كبير في النجاح الذي حققه الفاطميين.

حملة جوهر الصقلي على مصر ٣٥٨ هـ/٩٦٨م.

بعد ان اكمل المعز لدين الله الاجراءات اللازمة لدخول قواته مصر ، تحرك الجيش الفاطمي بقيادة جوهر الصقلي من افريقيا سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٨. فسار الجيش حتى وصل برقة وواصل سيرة الى ان وصل الاسكندرية ويذكر الانطاكي ان رحلة الجيش قد استغرقت ثلاثة اشهر منذ خروجه من افريقيا حتى وصوله الى الاسكندرية.

وقد دخلت الجيوش الفاطمية مدينة الاسكندرية التي فتحت ابوابها دون اية مقاومة تذكر وقد منع جوهر عساكره من التعرض للاهالي واستطاع ان يكبح جماحهم

بتوسيعه الارزاق عليهم. علما ان ابن الفرات قد تدارس الامر مع اعيان مصر وشيوخها واتفقوا على عقد الصلح مع جوهر ومنحهم الامان على ارواحهم وممتلكاتهم.

وهكذا بدخول جوهر الصقلي الى مصر زال سلطان العباسيين والاخشيديين منها واصبحت مصر ولاية فاطمية ، وبذلك غدت حدود الدولة الفاطمية تمتد من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا وان دخولهم لمصر يعد الخطوة الاولى لمد نفودهم الى بلاد الشام والحجاز.

ثم قام جوهر في سنة ٣٥٨ ه بانشاء مدينة خاصة للفاطميين اسماها القاهرة بعد ان سماها المنصورية وان سبب التسمية يرجع الى القول بان هذه التسمية اطلقت تيمنا باسم الخليفة المنصور بالله (٣٣٤-٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) والد المعز لدين الله الذي بنى مدينة المنصورية خارج القيروان وان جوهر بتسميته المدينة الجديدة بالمنصورية هو لغرض التقرب بهذه التسمية الى مولاه المعز لدين الله واحياءا لذكرى والده الخليفة المنصور بالله.

لكن المعز لدين الله قد بدل اسمها عند دخوله اليها سنة ٣٦٢ هـ /٩٧٢م واسماها القاهرة تفاولا بانها ستقهر الدولة العباسية وتقهر من شذ عنها ورام الخروج عليها وهنالك رأي ثاني في تسميتها بالقاهرة أورده ابن دقماق اذ قال : ((... انها سميت بالقاهرة لان اساسها قد شق على طلوع كوكب رصده احد الحكماء السبعة يقال له القاهر ...)).

كما انه قام باجراءات دينية منها خاص بشهر رمضان صومه وفطره حيث اصبح الصوم بدون رؤية الهلال فشهر رمضان عند الفاطميين ثلاثون يوما. كما انه امر المؤذنين بالاذان ب(حي على خير العمل)، كما انه امر بالجهر بالبسملة في الصلاة وزيادة القنوت في الركعة الثانية من صلاة يوم الجمعة.

وامرهم بان يصلوا على النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

اما ما يتعلق ببناء المساجد فلما جاء جوهر الى مصر وجد فيها ثلاثة مساجد (جامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق لقدمه، ومسجد العسكر الذي بناه الوالي العباسي على مصر الفضل بن صالح، ومسجد بناه احمد بن طولون واسماه بأسمه) فرأى جوهر ان لا يفاجئ المصريين عليه فقرر بناء مسجد لكي يكون رمزا لسيادة الدعوة الفاطمية فشرع ببناء الجامع الازهر سنة ٣٥٩ هـ واقيمت به الصلاة سنة ٣٦١ هـ. واسماه بالازهر بعد ان كان يسمى بجامع القاهرة هو لما سيكون له من

الشأن العظيم والمكانة الكبرى بازدهار العلوم فيه، وقيل سمي بالازهر تيمنا بجدتهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

كما قام جوهر باصلاحات نقدية فسك عمله اسماها (الدينار المعزي) وتبلغ قيمته (٢٥ درهما) بينما كانت قيمة الدينار الراضي تساوي (١٥ درهما) ومنع جوهر الصقلي المعاملة بالدينار المعزي ومنع تداول الدينار الراضي بعد ان خفض قيمته.

- رحلة الخليفة المعز لدين الله الى مدينة القاهرة ٣٦١- ٣٦٢ هـ/٩٧١- ٩٧٢ م

بعدما استقرت الامور للفاطميين بمصر كتب جوهر الصقلي الى مولاه المعز لدين الله ولأكثر من مرة يدعوه الى ترك بلاد المغرب والقدوم الى عاصمة ملكه الجديدة القاهرة ، خاصة بعد ان دانت الشام والحجاز لسلطانه واقيمت الدعوة للفاطميين في هدا البلاد .

فبدأت رحلة المعز لدين الله ومعه جميع اهله وعمومته في شهر شوال سنة ٣٦١ هـ/٩٧١م. فوصل الخليفة إلى الاسكندرية السادس من شعبان من سنة ٣٦٢ هـ /٩٧٢ م. فدخل القاهرة وافتتح جامع الازهر في اول يوم وصوله الى مصر، وفي اليوم السابع من وصوله تسلم المعز لدين الله دواوين مصر وجباية اموالها والنظر في احوالها من جوهر الصقلي الذي انسحب معلنا تجرده عن كل صفة كانت له ولمولاه المعز لدين الله بعد ذلك الامر في ان يضعه حيث يريد.

وبدخول المعز لدين الله الى القاهرة صارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة وبدخوله ايضا انتقلت السلطة الزمنية اليها واصبحت مصر دارا للخلافة الفاطمية بعد ان كانت دار امارة ودامت خلافة المعز في مصر حتى سنة (٣٦٥ هـ).